

كتاب «بحر العوام فيما أصاب فيه العوام»

بين طبعتين

د. مازن المبارك(*)

لقد أحسن مجمع اللغة العربية صنعاً في إعادة نشر كتب تراثية كان السلف الصالح من أعضائه الأوائل حققوها ونشروها ونفدت نسخها منذ أزمان.

وصدرت الدفعة الأولى من هذه الطبعة الجديدة لهذه الكتب عن دار البيّنة بدمشق سنة ٢٠١١م، وكان منها كتاب «بحر العوام فيما أصاب به العوام»، وهو كتاب كما يتضح من عنوانه غاص صاحبه في لغة العامّة واستخرج منها ما أصابوا في استعماله منها، وأراد أن يكون كتابه مشتملاً على ما يعتقد الجاهل أو الناسي أنه من أغلاط عوامّ الناس وليس فيه شيء من الغلط.

وكانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب صدرت عن المجمع سنة ١٩٣٧م وطبعت في مطبعة ابن زيدون بدمشق، وهي بتحقيق أستاذنا عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي وأمينه. وأما الطبعة الجديدة فقد أضاف المجمع إليها مراجعة

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الدكتور مكّي الحسني الجزائري عضو المجمع وأمينه^(١).

وكتاب «بحر العوام» من تأليف الشيخ الإمام محمد إبراهيم المعروف برضيّ الدين ابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١هـ، وهو عالم اشتهر بمؤلفاته في اللغة والتاريخ والإنشاء والألغاز وعلوم أخرى متعددة، وقد زادت مؤلفاته على الخمسين. وأما محققه فأستاذنا عز الدين التنوخي، عضو المجمع وأمين سرّه، وهو عالم أديب، عاش متنقلاً بين الشام التي ولد فيها، وفلسطين حيث تعلّم في مدرسة «الفرير» بيافا، ومصر حيث تعلّم في «الأزهر»، وفرنسا حيث درس الزراعة، ثم عاد إلى الشام وخدم في الجيش العثماني، وعمل في التعليم في عهد الملك فيصل، والتحق

(١) أراد المجمع إعادة طبع عدد من الكتب التي ألفها أو حققها بعض أعضائه الأوائل، ولكن ليس بطريقة تصوير هذه الكتب، وإنما بإعادة تنزيدها، لأن فيها الكثير من العيوب الطباعية المتنوعة. لذا كان لا بدّ من مراجعة ما نُضدّ للتّيّن أنه مطابق للأصل، مع استبعاد الأخطاء الواضحة. بعبارة أخرى كان المطلوب المراجعة، لا التحقيق، والفرق كبير جدّاً بينهما! فلم ينظر المراجع في المصادر الأصلية التي ذكرها كاتب هذا المقال، مثل:

- مقدمات شروح المقدمة الجزرية.

- الأعلام للزركلي.

- شذرات الذهب.

- أدب الكاتب، وغيرها.

ولو كُلفت التحقيق لاختلفت طبيعة العمل. [المراجع].

بخدمة الحكومة العربية بدمشق، ودرّس في العراق، ودرّسنا علوم البلاغة في كلية الآداب بجامعة دمشق. وحقّق عددًا من كتب التراث اللغوي، ونظم الشعر وكثيرًا ما كان يرتجله، ومات في دمشق سنة ١٩٦٦ م.

وقد لفت نظري حين طالعت الطبعة الثانية للكتاب مواضع وقفت عندها، وسجّلت في هامش الكتاب ما لاحظته عليها، ثم عارضتها بما جاء في الطبعة الأولى، ورأيت أن أنشر بعضها تعميمًا للفائدة.

١- ط ١ ص ٨ : حور الخيام في رواية خير الأنام في اليقظة والمنام

ط ٢ ص ١٠ : في رواية.

والصواب: في رؤية.

٢- ط ١ ص ٩ : الفوائد السمية في شرح المقدمة الجزرية.

ط ٢ ص ١٢ : الفوائد السمية...

والصواب: الفوائد السرية في شرح المقدمة الجزرية. (كما جاء في مقدمات

شروح المقدمة الجزرية. وفي الأعلام للزركلي.)

٣- ط ١ ص ٨ س ١٣ : شرح المقلتين في حكم القلتين.

ط ٢ ص ١١ س ١٠ : شرح المقلتين...

والصواب: شرح بالسين المهملة، أي تسريح العينين وإطلاق نظرهما...

- وقد ورد اسم الكتاب صحيحًا في شذرات الذهب ٨ / ٣٦٥.
- ٤- ط ١ ص ١٥: الدهيشة. وجاء في الحاشية: لا الدهيشة.
- ط ٢ ص ١٥: الدهيشة. وجاء في الحاشية: لا الدهيشة.
- والصواب: الدهيشة. وفي الحاشية: لا الدهيشة.
- ٥- ط ١ ص ١٥ س ٩: ومن العرب من يقول.
- ط ٢ ص ١٧ س ٢: ومن العرب يقول.
- والصواب: ما جاء في الطبعة الأولى.
- ٦- ط ١ ص ١٦ في الحاشية: لئن كنت لا تفعل هذا فافعل هذا.
- ط ٢ ص ١٨ في الحاشية: فافعل هذا.
- والصواب: أن يكون الجواب للقسم لا للشرط^(٢).
- ٧- ط ١ ص ٢٨: مستسرًا
- ط ٢ ص ٢٧: مستسرًا
- والصواب: مستسرًا (كما في الطبعة الأولى).
- ٨- ط ١ ص ٣٥: الطيب.
- ط ٢ ص ٣٢: الطيب.
- والصواب: الطيب (كما في الطبعة الأولى).

(٢) هذا عند البصريين فقط. أما عند غيرهم فالجواب للشرط في كل الحالات، سواء أكان متقدمًا على القسم أم متأخرًا. ينظر «النحو الوافي» لعباس حسن، ٤ / ٤٨٥-٤٨٨ (المجلة).

٩- ط ١ ص ٤٦: إذ قد سمع.

ط ٢ ص ٤٢: قد سمع.

والصواب: إذ قد سمع (كما في الطبعة الأولى).

١٠- ط ١ ص ٥٢ س ٣: شرح أبيات العز قائلها أعرابها.

ط ٢ ص ٤٦ س ١٥: شرح أبيات قائلها أعرابها.

وجاء في حاشية الطبعين: كذا في الأصل، وفي العبارة غموض.

وصواب القراءة هو: شرح أبيات ألغز قائلها في إعرابها.

وليس في العبارة غموض ولكنها لم تقرأ على وجهها الصحيح، ولم تراجع في

الأصل الذي نقلت منه والذي طُبع في دمشق سنة ١٩٥٨م.

وقد ذكر ابن الحنبلي مؤلف كتاب بحر العوّام أن القول الذي يرويه حكاه أبو

نصر الحسن بن أسد الفارقي عن أبي الحسن عن العرب، قال في كتابه الذي ضمّنه

شرح أبيات ألغز قائلها في إعرابها، ودفن في غامض الصنعة صوابها...

والحسن بن أسد الفارقي هو صاحب كتاب نشره أستاذنا سعيد الأفغاني

وطبعته مطبعة الجامعة السورية (جامعة دمشق) أولاً باسم «توجيه إعراب أبيات

ملغزة الإعراب» ونسبه للرماني، ثم نشر بعد أشهر صفحات عنوانها «إصلاح خطأ

عنوان» وجعل عنوان الكتاب في تلك النشرة: «شرح أبيات مشكلة الإعراب،

للحسن بن أسد الفارقي سنة ٤٨٧هـ، لا: توجيه إعراب أبيات ملغزة الإعراب

للرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ».

وإننا نجد في كتاب الفارقيّ كل ما ذكره ابن الحنبلي في كتابه بحر العوام في هذا الموضوع وفي غيره من المواضع، فقد نقل عنه غير مرّة. فمن ذلك ما جاء في: ط ١ ص ٥٢ وط ٢ ص ٤٧ وهو قوله: لأهلكها واقتني الدجاجا. وصوابه في ص ٥١ من كتاب الفارقي وهو: لأهلكها وأقتني الدجاجا.

وكذلك ما جاء في ط ١ ص ٥٤ وفي ط ٢ ص ٤٨ وهو قوله: نلقى لديكم. وصوابه في كتاب الفارقي: يُلقى لديكم.

وما رواه ابن الحنبلي في ص ١٦ من الطبعة الثانية نجده في ص ١٨٤ و ١٨٥ من كتاب الفارقي. وما رواه في ص ٤٩ من أنه يقال للديك دجاجة مذكور في كتاب الفارقي في ص ٢٦٠ وهكذا..

١١- ط ١ ص ٥٦ س ١٢: وأنت تريد بذلك إبعاده.

ط ٢ ص ٥٠ س ٩: وأنت تريد بذلك إبعاده.

والصواب: حذف كلمة (ذلك) من الطبعة الثانية على نحو ما جاء في الطبعة الأولى.

١٢- ط ١ ص ٨١: أدخل الباقي في قوله (بحور).

ط ٢ ص ٦٩ س ١٤: أدخل الباقي في قوله (بحور).

والصواب هو: أدخل الباء في قوله (بحور).

١٣- ط ١ ص ٩٦ س ١٥: كما هو منسوب إليه.

ط ٢ ص ٨٤ س ١٦: كما منسوب إليه.

والصواب كما هو، (كما جاء في الطبعة الأولى).

١٤- ط ١ ص ٩٨ س ١ دعاني إلى حكّه.

ط ٢ ص ٨٥ س ١١ دعاني إلى حكّة.

والصواب: (حكّه) كما جاء في الطبعة الأولى.

١٥- ط ١ ص ٩٧ الحاشية ١: فابن قتيبة يميز الضمّ والكسر.

ط ٢ ص ٨٥ الحاشية ١: فابن قتيبة يميز الضمّ والكسر.

والصواب: فابن قتيبة يميز الضمّ والفتح.

والكلام في هذه الحاشية على (الطلاوة) وما يجوز في حركة أوّها، وقد قال المؤلف في متن الكتاب^(٣) إن صاحب أدب الكاتب ذكرها في (باب ما جاء مضمومًا والعامّة نفتحها) وبذلك يكون ابن قتيبة قائلًا بضم أوّها، ولو عدنا إلى «أدب الكاتب» لوجدنا ابن قتيبة يذكر (الطلاوة) ثلاث مرات، الأولى في الباب المذكور^(٤)، والثانية في (باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس أضعفهما)^(٥)، والمرة الثالثة في (باب فعالة وفعالة)^(٦) وليس للكسر ذكر في كلام ابن قتيبة في المواضع كلها!

(٣) بحر العوّام. ط ٢ ص ٨٥.

(٤) أدب الكاتب. ط. د. الدالي ٣٩٤.

(٥) أدب الكاتب: ص ٤٢٤.

(٦) أدب الكاتب: ص ٥٥١.

١٦- ومما يُلاحظ على الطبعتين أن العنوان في الفهارس كلها هو «الفهارس الأبجدية» مع أن الترتيب فيها ترتيب هجائي أو ألفبائي وليس أبجدياً! (انظر ذلك في ص ٩٠ و ١٠٠ و ١١٣ من الطبعة الثانية).

ويلحق بهذه الملاحظة أن ترتيب الفهرس في ص ١٠٢ وهو فهرس الألفاظ جاء بحسب ورودها في فقرات الكتاب، وليس في ذلك نفع للقارئ؛ لأن عليه أن يقرأ الفهرس كله بحثاً عن لفظة يريدتها!! ولو رتب ترتيباً هجائياً بحسب أوائل الألفاظ لكان أولى وأنفع.

وكذلك جاء فهرس القوافي مرتباً بحسب ورودها في فقرات الكتاب، وكان الأولى أن ترتب على حروفها ليسهل الرجوع إليها (انظر ص ١١٣).

وجاء اسم (محمد بن عمر) في فهرس الأعلام ص ٩٨ بعد (محمد القزويني، ومحمد بن مالك، ومحمد المعري) وحقه أن يكون قبلهم جميعاً.

وبعد فكتاب ابن الحنبلي حلقة في سلسلة كتب وضعها أصحابها لإصلاح لغة العامة والتنبيه على ما يقبل منها، وهي سلسلة عرفت منذ بدأها الكسائي المتوفى سنة ١١٨٩ هـ وما زالت تصدر إلى يومنا هذا على تفاوت بينها في الحجم والمنهج والمضمون، وكتاب ابن الحنبلي واحد منها، فرحم الله مؤلفه، ورحم محققه، وبارك في حياة مراجعه وجزاه خيراً.